رغم الكوارث التى حلت بنا إبتداءا من حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ إلى الآن، ورغم إستيقاظنا، كل صباح لنجد أنفسنا وقد تراجعنا مسافة جديدة، لم يحدث أن سمعنا عن قاض كُلِف بالتحقيق فى واحدة من هذه الكوارث القومية بالجدية الواجبة، كأننا نصنع لأخطائنا محميات، تتحول بمرور الوقت إلى فخاخ لأجيالنا اللاحقة.

ومع ذلك فهذا الكتاب لم يُقصد منه إعطاء ثوار ٢٥ يناير دروسًا فى السياسة، أو التاريخ، أو وضع خطوط حمراء تحت حوادث بعينها، وتفسيرها بطريقة مختلفة عن الطريقة التى تناولها بها التاريخ الرسمى (إن صح التعبير) فهذا فى الحقيقة يتجاوز تطلعاتى.

المسألة هى أننى عندما كنت أشارك فى ابداء الرأى ـ فى الحوادث الجارية ـ بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، أجد نفسى أقول كلامًا مختلفًا عما هو شائع، وما يحمل بصمة " متفقٌ عليه " ففى الوقت الذى أرى الجموع متجهة إلى القاهرة الجديدة لمشاهدة محاكمة مبارك، أجد نفسى أقول تريثوا، وخففوا من شهوة الانتقام هذه، ربما يكون ضحية مثلكم، وربما يكون من الواجب علينا أن نجد لأنفسنا مكانًا إلى جواره فى قفص الاتهام.

هل يمكن أن تقول ما أقول دون أن تقدم تفسيراً مقبولا على نحو ما؟

وهل يمكن أن يكون لهذا التفسير قيمة إذا لم يسهم فى تعديل الرؤية، وتوسيعها حتى تسهم فى تشكيل الحاضر، ووضع الأمر فى مساره الصحيح من أجل المستقبل؟

حلا لهذه الإشكالية كان هذا الكتاب، ألذى أردت أن يكون "كطفطف" مصيف رأس البر أيام الزمن الجميل.

كان حافلة مفتوحة من الجانبين، تطوف فى المصيف، المكون من عشش من البوص، تُهجر طول العام إلى أن يحل شهرا إبريل/ مايو، عندئذ تبدأ المدينة الصغيرة المحصورة بين النهر والبحر فى إعادة تدبر أمر نفسها، استعداداً للعرس القادم، لم يكن يفوتها أن تتجمل - ربما إلى حد التبرج - فتبدو كمدينة افتراضية، تظهر للوجود فى هذا الوقت من كل عام وكأنها لؤلؤة خرجت لتوها من البحر، لتحى عرس لقاء البحر بالنهر فى ذلك الزمن السحيق.

هذه الحافلة ألبديعة كانت واحدة من معالمها، كان مقدر عليها أن تمر بكل شوارع المصيف، وتنقل المصطافين بدون مقابل.

قلت سأجعل من هذا الكتاب طفطفاً أقوده بنفسى، وأطوف به الشوارع السياسية، المأهول منها والمهجور، وأملى أن يكون كل الركاب من الشباب العظيم، ثوار ٢٥ يناير، وملحقها المعجز ٣٠ يونيو.

المؤلـــف

■■■